ترى كل خود تنجلي وكانما تكاد بفرط الحسن ان تتحجبا
اذا ما دنا من ثغرها الكاس خلته هو الكاس او شمساً تقبل كوكبا
فيالك من ليلٍ كأن نجومه تقاصرن عن قصر الامير تهيبا
رأين به ازهى البدور طوالعاً من الارض مع ابهى لشموس تلهبا
فلم يناً عنه الصبح حتى دنا له وما لاح فيه النجم حتى تنقبا
وقد شاهدوا انس الامير وبشره فكان لهم ابهى والطف مشربا
اذا رنحتهم سورة الخمر وانتشوا وقابلتهم زادوا لديك تأدبا
تراهم لفرط الانس والبشر اخوة اليك ولكنا نراك لهم ابا
رأوا كل ما يحلو ويعذب ماثلاً لديهم ولكن كنت احلى واعذبا
رأوا جنة الخلد التي وعدوا بها ولاحت لهم ادنى منالاً واقربا
فما ابصروا الا ضياء ورونقاً ولا سمعوا الا سلاماً ومرحبا
وما شاهدوا الا الجلالة والعلى ولا نظروا الا الحفاوة والحبا
مكارم من نبع العلي تحدرت الى الآن ما تنفك غامرة الربى
فدامت لهم دنياك يتلو نعيمها نعيماً ويقفو معجب منك معجبا
ودمت لمرأى البيت يرقص مطربا لنا واستماع البيت يرقص مطربا

الحفر والحفارون

وردتنا هذه المقالة من حضرة الصانع الحاذق المتفنن جورج افندي جداد احد الحفارين المشهورين بالاسكندرية فآثرنا اثباتها للدلالة على هذا الفن الجميل وتاريخه مما قد يجهله الكثيرون في بلادنا الشرقية التي كانت منشأ له ثم انتقل منها الى الغرب قال

نحن الآن في عصر امتدت فيه اطراف العلوم الى كل جانب واينعت اثمارها فصارت دانية القطوف لكل طالب ولقد مر على بلادنا هذا العصر ولزمها احقاباً طوالاً حتى انقطع عنها حيناً طويلاً من الدهر ولكنه عاد الينا في الآخر شيء منه بفضل كتابنا الادباء ورجالنا الالباء

ولقد رأيت ان كتابنا لم يتركوا بحثاً الا خاضوا فيه ولا موضوعاً الا الموا بكل جوانبه واطرافه سواء كان ذلك بنشره في المجلات العلمية والصحف اليومية السيارة او في ايداعه بطون الاوراق والكتب الخاصة ولما كنت من الذين يتعاطون فن الحفر الجميل ولم اعثر للآن على شيء مكتوب عنه في لغتنا العربية رأيت ان اذكر لقراء هذه المجلة طرفاً منه فاقول

قد يعلم الكثيرون ان فن الحفر او النحت معدود من اجل الفنون الجميلة وادقها بل هو رأس تلك الفنون وعينها وكفانا شاهداً على جلالته وعظمه انه يمثل لنا حقيقة الاحياء ناطقة بصورة الجماد ولولا هذا الحفر لما كنا عرفنا شيئاً من صور مشاهير الاقدمين مثل الاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر وشيشرون وامثالهم من رجال القرون الخوالي الذين لا تزال تماثيلهم لحد

الآن مخبرة لنا على سكوتها بمهارة الذين صنعوها منذ الوف من السنين ومؤيدة لكثير من الحقائق التاريخية التي كانت تجول فيها الشكوك والظنون

وفن الحفر ينقسم الى قسمين ينفصل احدهما عن الآخر انفصالاً تاماً فالقسم الاول وهو الاهم يختص بصنع التماثيل البشرية التي ندران خلت منها مدينة في هذا الحين . والقسم الثاني يختص بتمثيل مولودات الطبيعة كالزهور والاثمار ومناظر الجبال واشكال الطيور والحيوانات وينطوي تحت هذا القسم المصنوعات الهندسية كتيجان الاعمدة المختلفة الاشكال وما يبدا من الاكاليل والجوانب والقواعد الى غير ذلك مما يطول شرحه ويتعذر بيانه بجملته

فالحفار الذي يكون قداختص بصنع اشكال الزهور وتمثيل موجودات الطبيعة لايكون ماهراً لو سألناه صنع تمثال لانسان وذلك لان الطبيعة لاتقيد بشروط صعبة الا في بعض الحالات والدليل على عدم التقيد بها ان من اراد تمثيل الزهر مثلاً فان له مندوحة واسعة في ان تكون اوراق الزهرة مفتوحة او مطبقة او منتشراً بعضها وبعضها متماسك لان ذلك مما لايؤخذ عليه لاتساع الوجوه امامه ولانطباق كل وجه منها على حالة من حالات الطبيعة بخلاف صانع التمثال البشري او الحيواني باجماله فانه يتعين عليه ان يكون عارفاً بتركيب الاعضاء وتكوين عضلات الجسد والوجه ولا سيما ما يبدو منها لدى الانفعالات الطارئة عليه كالغضب والخوف والضحك والرجاء وامثال هذه الحالات . وعدا هذا فان حفار التماثيل ضيق دائرة العمل جداً على خلاف المصور لان المصور لو صنع صورة ثم وجد بعد صنعها انه اخطأ في لون من الوانها لامكنه اصلاح خطاه واما صانع التمثال فانه لو اخطأ

في تكوين ادنى الاعضاء فجعله مثلا اصغر من وضعه الطبيعي فقد فسد عليه كل عمله ومن هنا تتبين دقة هذه الصناعة وما يلازم صاحبها من التبعة الشديدة والحذر الدائم

ومما يتعين على الحفار ايضاً ان يكون حسن نظره وانتقاده مقدماً على براعته وحذقه في صنعه والا كان عمله فاسداً لانه غير تام ومن هذا القبيل ماتفقت لي رؤيته فانني شهدت مرة تمثال فتاة من الرخام وهي تتبسم واسنانها واضحة وكان التمثال بالغاً حد الاتقان ظاهراً فيه حذق الصانع واقتداره وافراغ جهده بان يبديه خالياً من العيب ولكني ما تاملته قليلا حتى بدا لي فيه عيب ذهب بجملة محاسنه وكان كله وارداً من عند عدم التدقيق وحسن النظر وذلك ان الصانع بدلا من ان يصنع الاسنان بعددها الطبيعي الذي لا يتجاوز العشر . وقت الابتسام صنعها ست عشرة سناً ثم لم يخطئ في العدد فقط بل انه صنع كل الاسنان بقطع واحد غير مميز الثنايا عن الاضراس فذهب ذلك بجمال التمثال كله وترك فيه عيباً لا يصلح

وقد رويت عن الحفار الشهير ميشال انجلو الايطالي قصة لا بأس بذكرها هنا لعلاقتها بما نحن فيه وهي انه صنع مرة تمثال رجل طاعن في السن مستغرق بالضحك وقد كان قصده بهذا التمثال ان يظهر الغضون والانثناء التي تبدو على الشيوخ حالة ضحكهم لانها من ادق الاسرار في هذه الصناعة . وقد اتفق له وهو يصنع التمثال ان جاءه رجل يريد مشاهدة ما صنع فقال له يا ميشال ان تمثالك متقن جداً ولكنك قد اخطأت فيه شيئاً فاجابه ميشال بكبرياء هات لي اولا حكما بيننا ثم اذكر لي وجه الخطأ قال بل انني ارتضي بحكمك نفسك فقال اذن قل ما وجه الخطأ فقال له هل وجدت في

حياتك رجلا طاعناً في السن كهذا الرجل الذي تمثله ثم تكون كل اسنانه موجودة لا تنقص منها واحدة او اثنتان على الاقل فاجابه ميشال لقد صدقت ولقد عرفت انني مخطئ حقيقة ثم تناول المفراص (الازميل) وازال شيئاً من الاضراس ثم صغر اللثة كما هي الحال في الشيوخ . ولا عاظم الحفارين نوادر كثيرة مثل هذه ولقد كنا نذكرها للفكاهة لولا ادخارنا هذا المكان لسواها

واول من اشتغل بهذا الفن من الامم القديمة هم الاشوريون والفينيقيون والمصريون غير ان الفينيقيين ابدعوا وفاقوا سواهم كثيراً فشادوا الهياكل العظيمة المزخرفة بابهى انواع النقوش والحلاة باجمل اشكال الزينة وهم اول من نحتوا تيجان الاعمدة المعروفة بالتيجان الكورنثية لان اليونان اخذوها عنهم كما اخذوا احرف الكتابة . ولو انصف الناس لدعوا هذه التيجان واعمدتها وقواعدها بالفينيقية نسبة الى مخترعيها ولكن لما كان الفينيقيون امة شرقية فقد تحتم ان تكون حقوقهم مسلوبة كما هو الشأن في سكان الشرق اجمعين

ومما يدلنا على ان الفينيقيين هم الذين اخترعوا هذه الاعمدة وابدعوا فيها حتى حيروا اعاظم الحفارين والمهندسين هو هيكل الشمس العظيم القائم في مدينة بعلبك الشهيرة بسوريا فان اعمدته الستة الباقية لهذا العهد تدل على عظم مكانتهم في هذه الصناعة وكثرة امعانهم في تجويدها وكأنها ما بقيت صابرة لهذا الدهر الا لتطلب من العالم انصاف واضعيها واعطاءهم حقهم من المجد

ولا يعلم بالتدقيق في اي زمن بني هذا الهيكل العجيب غير انه لما فتح الرومان سوريا عام ٦٠ قبل الميلاد وجدوا هذا الهيكل الجميل مخصصاً من الفينيقيين لعبادة الشمس فبنوا بجانبه هيكل جوبتر الذي لا يزال الى الآن تشابه اعمدته اعمدة ذاك ولكنها اصغر منها قليلا . وقد شهد هذه الاعمدة

احد المهندسين الفرنسويين فحكم انها اجمل بكثير من تيجان هياكل اثينا وكورنثوس واعمدتها

وقد اكتشف في صيداء عاصمة تلك الامة عدة الحاد من الرخام والمرمر سنة ١٨٨٩ فنقلت الى الاستانة العلية حتى صيرت متحفها من اجل متاحف العالم . اما ما فيها من النقوش والاكاليل فما يعجز القلم عن وصفه وقد شهدت على احداها رسم اربع مواقع حربية فرأيت الجنود صرعى بين قتيل وجريح يئن من الالم واشارة النزع بادية على وجهه ورأيت الجياد طارحة فرسانها وهي راكضة ركضاً والخيل يعثرن بالرؤوس تحت النقع وينهضن بالفوارس نهضا ولقد طلبت حكومة الولايات المتحدة ان تنقل هذه الالحاد لتعرضها في معرض شيكاغو في نظير اثني عشر الف جنيه ثم تردها الى حكومتنا العثمانية فرفضت ادارة المتحف ذلك خشية ان تلحق هذه النفائس بالمسلات المصرية المشهورة

هذا ما تيسر اكتشافه للان من آثار تلك الامة العظيمة وقد اكتشفت اتفاقاً لا قصداً ولكن دولتنا العلية لو سمحت بنبش الآثار كلها كما تفعل الان في بعلبك لاطلعت العالم المتمدن على خفايا كثيرة من صناعة اولئك الاقوام المدفونة تحت ظلمات الثرى

ثم بعد ان غربت شمس المدنية الفينيقية اشرقت شمس اليونان فبنوا عدة هياكل في بلادهم وسواها واشهرها مشيد في مدينة كورنثوس وكل الاعمدة في هذه الهياكل معصبة بتيجان مصنوعة على الطريقة الفينيقية ولكنها سميت بالتيجان الكورنثية وهي لا تزال معروفة للان بهذا الاسم بين جمهور الحفارين . واشهر حفاري اليونان الذين يذكرهم التاريخ هو فيدياس صانع

تمثال جوبتير اله الالهة عند اليونان. وقد ذكر المؤرخون ان المصلين حين كانوا يدخلون الهيكل كانوا يظنون التمثال جسداً حياً لان كل ادلة الحياة بادية على محياه من فرط الابداع والصنع. وقيل ان سقراط الفيلسوف كان في بدء امره حفاراً للتماثيل وقد تعلم هذه الصنعة من ابيه ومن هنا تعلم ان هذه الصناعة كانت من اجل الصنائع عند اليونان كما كانت مصنوعاتهم فيها من اكثر المصنوعات كمالاً ولذلك ترى التماثيل اليونانية تامة الصنع والتركيب ولا سيما تماثيل آلهة الجمال فانها لاتزال للان محل عجب الحفارين وتأملهم

اما تماثيل المصريين فعلى خلاف ذلك وهي سواء كانت الوهم واكابرهم مشوشة النظام غير متناسبة التركيب وقد شهدت في متحف القاهرة تمثالا اظنه لاحد الملوك وكان جالساً وواضعاً يديه على ركبتيه ولكنهما كانتا اطول مما يجب بحيث لو مثل هذا التمثال واقفاً على قدميه لوصلت يداه الى الارض ولعل صانعه قد صنعه كذلك اذ عرف انه من الحجر ولا يمكن ان يستوي على سوقه بعجب الناظرين .... ولبس هذا التمثال وحده بهذه الصورة بل كل التماثيل مختلة مضطربة التركيب وقد شهدت تمثالا آخر يمثل رجلاً واقفاً ويداه ممدودتان الى جهة جنبه الايسر كانه يريد ان يشير الى شيء ولكن اليدين كانتا على طول واحد مع انه في هذه الحالة يجب ان تكون اليد اليمنى اقصر من اليسرى بنحو اربعين سنتيمتراً. ولقد اقول ان القسم اليوناني الروماني في المتحف المشار اليه يعد على صغره اجمل بكثير من القسم المصري الذي لايحوي الا امثال ما ذكرت

اما في القرون الوسطى — وقد صدق من سماها القرون المظلمة — فقد كانت صناعة الحفر معدومة لان اوربا كانت خالية من كل فن جميل ومن

نظر الى المسكوكات التي ضربت باسم كاريبوت الاول ملك فرنسا عام ٥٦١ وكاريبوت الثاني عام ٦٢٨ وداكوبرت الثاني عام ٦٧٤ فانه يجدها اشبه بالرسوم التي ينقشها الاولاد على جدران المنازل. تلك كانت حالة فرنسا بذاك العهد واما الان فانظر كيف صارت

وبقيت صناعة الحفر ضعيفة مدة ثمانية قرون ثم اخذت في الاشتداد بالتدريج ولا سيما بايطاليا فنشأ فيها عدة من الحفارين اشهرهم ميشال انجلو السابق الذكر فان مصنوعاته الباقية تدل على كل حذق وذكائه ولا سيما في كونه خالف عادة الحفارين السابقين فصنع للعين حدقة فصار الجسم يرى بها كانه حي ينظر بعد ان كان كالاعمى

وكان الحفارون مكرمين مبجلين من كل ملوك اوربا ولذلك كثر طالبو هذا الفن ولا سيما من الطليان الذين سبقوا غيرهم فيه ولكن دواعي الفقر في بلادهم قد دفعتهم الى المهاجرة منها فصرت ترى اعظم حفاري فرنسا من ايطاليا. ولقد كان ايطالياً من صنع التمثال الشهير الذي يمثل فرنسا تستقبل الامم في معرض باريز السابق ولكن اكثر الفضل كان عائداً لفرنسا كما لايخفى

ومما يدل على الفقر بايطاليا ان احد الحفارين الحاذقين فيها هاجر الى باريز ماشياً اذ لم يكن معه اجرة السكة الحديدية وبعد ان اقام في باريز مدة ادهش بها الحفارين الفرنسويين ذهب الى اميركا فعين في شيكاغو لصنع تماثيل معرضها ولكن شهرته لزمت اميركا ولو كان ايطالي الاصل

اما في الشرق فان صناعة الحفر ولا سيما نحت التماثيل كانت غير معروفة تقريباً وذلك لان الدين الاسلامي يحرم صنع التماثيل ولكن تحريمه هذا على

العرب كان داعياً لاشتغالهم بسواه فبرعوا جداً في صناعة النقوش المشبكة الذي يسميها الافرنج Style Orabesque ولا تزال آثار هذه الامة العربية موجودة للان في قصر الحمراء بالاندلس في اسبانيا وفي عدة جوامع قديمة في مصر ودمشق. وعندي ان العرب مافاقوا امم الارض كلها في صنائع الجنان كالشعر والترسل وسواهما من محاسن الانشاء الا لانهم لم يكونوا يهتمون بالصنائع اليدوية ولكنهم لو اهتموا بها وافرغوا لها جوانب من عقولهم لتوزعت تلك البراعة على كل اعمالهم. الا انه لما كان كل مصنوع او مقول دليلاً على عقل صاحبه فلا شك ان العقول العربية كانت من اصفى العقول واتمها ذكاء لان قصيدة من قصائد المتنبي تعدل صورة من صور رافائيل ورسالة من رسائل الهمذاني تحسب بمنزلة تمثال من صنع ميشال انجلو

ولقد قلنا ان العرب اولعوا خاصة بالقول فانشأوا القصائد الطنانة والرسائل البليغة ولكنهم مع اجماعهم كلهم على هذه الصناعة فانه لم يخرج منهم الا عدد قليل جداً في رتبة المتنبي والهمذاني وكذلك الاوربيون فانهم على انتشار فن الحفر بينهم لا يزالون قليلين جداً في كل اوربا واميركا فان العظماء منهم هم واحد في ايطاليا واثنان في فرنسا وواحد في المانيا وهؤلاء هم الذين يصنعون التماثيل العظيمة للدنيا كتمثال دي لسبس الذي رفع من اشهر في بورسعيد. وللاوربيين بهذه التماثيل افتخار وزهو عظيمان وقلما يخلو لهم بيت كبير من تمثال احد المشاهير او تمثل صاحب البيت نفسه وذلك ولا ريب احسن من الصورة لان التمثال اطول مدة واوضح تمثيلا واحسن ذكرى

سبع شميل

عدت يد البين في السادس من هذا الشهر على فتى من خيرة فتياننا وشاب من نوابغ شبابنا وهو الكاتب الذكي الاديب والمتفنن الحاذق اللبيب المرحوم المأسوف عليه سبع شميل شقيق عزتلو زميلنا الفاضل رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير الغراء وقد استأثرت به رحمة ربه في قرية كفرشيما بلبنان عن ٣٣ سنة انفق اكثرها بين الاستفادة من تجربة الدهر والايام وبين ملازمة المحابر وصحبة الاقلام حتى افنته اواخرها بين صنوف الاوصاب والاسقام بعد ان كانت مخايله تبشر منه بالوصول الى نهاية المدارك ونهاية الافهام تغمده الله بعميم الرحمة وسابغ الرضوان والهم اسرته الكريمة جميل الصبر والسلوان

بشاره نقلا

ولقد فجعت الصحافة العربية في الخامس عشر من هذا الشهر ايضاً بفقد زعيمها النحرير وقائدها الكبير المرحوم بشاره باشا نقلا الطيب الاثار الحميد الخبر والتذكار صاحب جريدة الاهرام الغراء المنتشرة في جميع الاقطار التي اقام على خدمتها خمساً وعشرين سنة اوصلها بها الى ابعد مدى من الامتداد والانتشار وقد تلقاه قضاء ربه في القاهرة اثر علة شديدة عجزت فيها حيل الاطباء وارتدت عنها قوى العلاج والدواء فذهب تبكيه الاداب والمعارف وتندبه الاوراق والصحائف وما عسانا نذكر من مناقبه الحميدة وقد احتوى بها على امد العلاء عزة وشرفا ولكننا نقول